

دلائل الإعجاز

وذلك أن قوله : لهم إلفٌ تكذيبٌ لدعواهم أن زعمهم من قريش . فهو إذاً بمنزلة أن يقول : كذبتُم لهم إلفٌ وليس لكم ذلك . ولو قال : زعمتُم أن إختكم قريشٌ ولهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ لصارَ بمنزلة أن يقول : زعمتُم إن إختكم قريشٌ وكذبتُم في أنه كان يَخْرُجُ عن أن يكونَ موضوعاً على أن زعمه جوابٌ سائلٍ يقولُ له : فماذا تقولُ في زعمهم ذلك وفي دعواهم فاعرفه .

واعلم أنه لو أظهرَ " كذبتُم " لكان يجوزُ له أن يعطفَ هذا الكلامَ الذي هو قوله : " لهم إلفٌ " عليه بالفاء فيقول : " كذبتُم فلهم إلفٌ وليس لكم ذلك " . أما الآن فلا مَسَاغَ لدخولِ الفاءِ البتةَ لأنَّه يصيرُ حينئذٍ معطوفاً بالفاء على قوله : زعمتُم أن إختكم قريشٌ وذلك يَخْرُجُ إلى المَحَالِ مِنْ حيثُ يصيرُ كأنه يستشهدُ بقوله : لهم إلفٌ . على أن هذا الزعمَ كان منهم كما أنَّك إذا قلتَ : كذبتُم فلهم إلفٌ كنتَ قد استشهدتَ بذلكَ على أنهم كذبوا فاعرفه ذلك . ومن اللطيفِ في الاستئناف على معنى جعلِ الكلامِ جواباً في التقديرِ قولُ اليزيديِّ - السريع - : (مَلَّا كَتَبْتُهُ حَيْدِي وَلَكِنَّهُ ... أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدِي عَلَى غَارِي) . (وقال : إني في الهوى كاذبٌ ... انْتَقَمَ مِنْ الكاذبِ) . استأنفَ قوله : انتقمَ مِنْ الكاذبِ لآنه جعلَ نفسه كأنه يجيبُ سائلاً قالَ له : فما تقولُ فيما اتَّهمكَ به مِنْ أنَّك كاذبٌ فقال : أقولُ : انتقمَ مِنْ الكاذبِ . ومن النادرِ أيضاً في ذلك قولُ الآخرِ - الخفيف - :

(قال لي : كيفَ أُنَّتْ قَوْلَاتُ : عَلِيلُ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ) . لما كانَ في العادةِ إذا قيلَ للرجلِ : كيفَ أنتَ فقالَ : عَلِيلٌ أن يسألَ ثانياً فيقالَ : ما بكَ وما علَّتْكَ قَدْرُ كأنه قد قيلَ له ذلكَ فأَتَى بقوله : سهرٌ دائمٌ جواباً عنَ هذا السؤالِ المفهومِ مِنْ فحوى الحالِ فاعرفه .